Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الإمام أواخر الدولة الأيوبية وحُكم أربعة من سلاطين المماليك كان آخرهم الظاهر بيبرس ، وكان لا يخشى فى فتاواه السلاطين والأمراء ولذلك كانت له مواقفه فى دفع الظلم ومحاربته ، ومن أمثلة ذلك ثورته على الصالح اسماعيل الأيوبى حاكم دمشق عندما تحالف مع الصليبيين ضد أخيه الملك الصالح أيوب وتنازل لهم سنة ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م عن القدس وطبرية وعسقلان ، فقد اعتلى سلطان العلماء منبر المسجد الأموى وشرح هذه الخيانة التى أملاها الحقد والطمع ، وكان نصيبه السجن ، ولما أفرج عنه ذهب إلى القاهرة فرحب به الملك الصالح أيوب وأكرمه ، وولاه الخطابة فى المسجد العتيق والقضاء بمصر والوجه القبلى فقام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولم يمنعه هذا الإكرام لشخصه من أن يغلظ للسلطان عندما كثر ظلم مماليكه للشعب «فلما خرج من عنده قيل له ألم تخفْ من أذاه لك ؟ فقال : استحضرت عظمة الله تعالى فصار قدامى أحقر من قط»[1] .

عاصر ابن النفيس سلطان العلماء نحوا من ٢٨ عاما عاشها شيخ الإسلام فى القاهرة ، ورآه عندما تغالى أمراء المماليك فى جمع الأموال من الشعب لمحاربة التتار (سنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٨ م) زمن السلطان «قطز» فقد تصدى لهم شيخ الإسلام وأفتى أنه لا يجوز لهم أن يجمعوا المال من الشعب إلا إذا نفد كل ما هو موجود فى بيت المال ، وأن يبيع أمراء المماليك كل ما يملكون من آلات الزينة الذهبية التى يحلون بها أنفسهم وآلاتهم وخيولهم ويقتصر كل واحد منهم على ما يلزمه من سلاح وما يركب من دابة ، وبذلك يتساوى عامة الشعب مع السلطان والأمراء فى الإنفاق لدفع خطر الغزاة عن بلاد المسلمين»[2] .

---

(١) الأسنوى : طبقات الشافعية السابق ذكره .

(٢) القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله جـ ٥ ص ٣٦٤ - ٣٦٦ .